التحول إلى مجتمع مستدام

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 30 ديسمبر 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

أن يتحول مجتمع بأكمله إلى مجتمع مستدام، فهذا حلم، وحتى لا نكون متشائمين أو سلبيين فإن ذلك يمكن أن نطلق عليه (رغبة) من الممكن تحقيقها إن رغب المجتمع كله في النهوض بتلك الرغبة وأصبح ذلك هو الهدف المنشود، ومن أجل ذلك يتعاون كل أفراد المجتمع من أجل تحقيق هذه الرغبة وذلك الهدف، فهل هذا ممكن ؟

وحتى نكون أكثر واقعية، فإننا لا ننشد جمهورية أفلاطون الخيالية، إلا إننا ممن يجدون أن في تحدي المستحيل متعة لا تضاهيها إلا متعة الانتصار على المستحيل، لذلك نؤمن أنه يمكن تحقيق المجتمع المستدام إن كانت هذه الرغبة موجودة – فعلاً – لدى جميع أفراد المجتمع بحيث تصبح هذه الرغبة جزءًا من حياتهم يعيشون عليها ويتعايشون معها، وأما إن كانت هذه الرغبة نزوة عابرة فإنه يصعب تطبيقها لأنها في فترة من الفترات أو مع أول عائق ستتوقف ويطوي أوراقها الزمن وتصبح هباء.

تصميم مبادرة مجتمعية

إن رغبنا فعلاً في أن نتحول – كمجتمع – إلى مجتمع مستدام علينا أن نفكر بطريقة تصميم مبادرة مستدامة؛ والمبادرة في منظومة التنمية المستدامة تعني مجموعة الإجراءات أو الأنشطة التي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد بهدف التصدي لحل مشكلة ما أو تطوير وضع ما من أجل حياة أفضل، وذلك من خلال استخدام أساليب علمية منهجية متنوعة تساعد في بلورة الصورة التي ستكون عليها المبادرة، بما في ذلك تخصيص الموارد المالية والفنية، والخبرات ونحو ذلك.

وحتى نستطيع تصميم مبادرة منهجية علينا أن نتبع التفكير العلمي المنهجي في التصميم، لذلك فإن الأدبيات تشير إلى أن المبادرة يمكن تنفيذها بحسب المراحل التالية، وهي:

1. مرحلة التفكير وتصميم ودراسة المبادرة؛ بعد أن نكون قد وضعنا هدفنا نصب أعيننا وهو (التحول إلى مجتمع مستدام) علينا أن نبدأ في التخطيط للمبادرة، لذلك يجب أن نحدد الخطوات التي يمكن اتخاذها لتنفيذ المبادرة، والفترات الزمنية التي نحتاجها لتنفيذ كل خطوة، فأي أفراد المجتمع يمكن أن يسهم بطريقة فعالة في إنجاح المبادرة ؟ وما المبادرات وأهداف التنمية المستدامة التي نحتاج إلى تطبيقها في هذا المجتمع الذي نعيش فيه ؟ ومن يمكنه أن يسهم في تنفيذ تلك الأهداف سواء من القطاع العام أو الخاص أو الأهالي ؟ والكثير من الأمور التي يجب التفكير فيها ونحن في

المرحلة الأولى، على ألا نترك الأمور هكذا للصدف، فالتخطيط ساعة يمكنه أن يسهم بطريقة فعالة عند التنفيذ، إذ إن التخطيط ساعة يغنينا عن 10 ساعات تنفيذ بعشوائية، فنحن نؤمن بالمقولة التي تقول (من لا يعمل بمنهجية فإنه حتمًا يعمل بهمجية)، وفي هذا المشروع نحن لا نرغب في الهمجية والفوضوية.

2. مرحلة كتابة المبادرة؛ التخطيط الذي لا يكتب على ورق فإنه كالدخان الذي يمكن أن يتطاير من نسمات هواء بسيطة، أو يتسرب من الأصابع كما يتسرب الزئبق، لذلك يجب أن يتم التفكير الجيد والتخطيط الرائع، ويجب أن تكتب كل تلك الأمور سواء على ورق أو على الحاسوب، المهم أن يكتب كل شيء، من يقوم بماذا ؟ وكيف سيقوم بهذا الأمر ؟ ومن أين نبدأ؟ وكيف نبدأ ؟ وكل ما نحتاج حتى نسير وفق منهجية عملية، فالذاكرة البشرية لا يمكنها أن تستوعب أو تتذكر كل تلك الأمور. ومن جانب آخر فإن كتابة المبادرة أو الخطة تساعدنا على تقديم أفكارنا إلى الجهات الممولة وخاصة القطاع الخاص وربما الأهالي والأفراد وخاصة عند البحث عن الموارد سواء المالية أو البشرية أو حتى اللوجستية.

3. مرحلة البحث عن تمويل ودراسة الإمكانيات والموارد المتوافرة؛ غدت الخطة واضحة في هذه المرحلة، وكذلك ملف المبادرة أصبح مطبوعًا وبين أيدينا، لذلك فإننا الآن نحتاج إلى تضافر كل الجهود لإنجاح المبادرة، فيمكن الاستعانة بالقطاع الخاص لتمويل المشروع أو المشاريع، وكذلك فإن

القطاع العام يمكن أن يزودنا بالدعم اللوجستي، والقطاع الأهلي مثل الجمعيات الأهلية والأندية يمكنها الإسهام من خلال الأفراد والشباب من الجنسين، فيجب أن يعرف كل الأفراد ومن جميع القطاعات أن هذا مشروع مجتمع وليس مشروع فرد، عندئذ يمكن أن يسهم الجميع.

4. مرحلة التنفيذ؛ في هذه المرحلة يجب أن تكون الخطة قد تم الاتفاق عليها من قبل الشركاء وجميع الأطراف وحتى من الممولين والقطاعات الأخرى، ويجب أن يكون معلومًا أن عملية التنفيذ عادة ما تكون أصعب من التخطيط، فالتخطيط عادة ما يكون في غرف مغلقة، أما التنفيذ فيكون على أرض الواقع، لذلك يمكن أن تواجهنا الكثير من التحديات التي –ربما – تحبط من عزائمنا وقدراتنا، ولكن بفضل فرق العمل المنوعة والأفراد الراغبين في إنجاح المبادرة والمشروع، وإيمانهم بأنه يجب أن نتحول إلى مجتمع مستدام إذ إن ذلك سيسهم في تطوير المجتمع والأفراد فإن أي مشكلة يمكن إيجاد حلول ناجعة لها. وعمومًا مرحلة التنفيذ هي المرحلة التي سوف نركز عليها في حديثنا في الجزئية القادمة لأن الموضوع يطول.

5. التقييم؛ وعادة نضع التقييم كخطوة أخيرة وحدها ولكن في الحقيقة أن التقييم والتقويم عمليتان نحتاج إليهما في كل مرحلة من مراحل العمل، سواء في التخطيط أو التنفيذ، أو البحث عن فريق العمل أو ما إلى ذلك، فالتقييم ضروري حتى نتجنب الأخطاء ونحن في المراحل الأولى وحتى المراحل الأخيرة.

هكذا نبدأ في التفكير المنهجي في كيفية وضع مبادرة أو مشروع المجتمع المستدام، ولكن هذا لا يعني أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد، بل نكون قد بدأنا الآن في وضع اللبنات وتجهيزها، وكل ما نحتاج إليه الآن أن نضع اللبنات على بعضها بعضا بطريقة مرتبة حتى يكتمل البناء، لذلك علينا أن ندخل المرحلة التالية من البناء.

النهوض بالمجتمع

يصعب علينا في هذا المقال الصغير أن نضع خريطة طريق للمجتمع للنهوض به، ولكن لو أخذنا مثالاً واحداً يمكن من خلاله وضع الأطر الأساسية لخريطة طريق للتحول إلى مجتمع مستدام ربما أمكننا بعد ذلك أن نستدرك الكيفية التي من خلالها يمكن التحول إلى مجتمع مستدام، لنأخذ مثالاً واحداً وهو الهدف الثامن الذي ينص على: توفير العمل اللائق والنمو الاقتصادي.

ماذا يعني ذلك ؟ وكيف يمكن تحويل هذا الهدف إلى فعل واقع ؟

ماذا يمكن أن يحدث لو فعلاً استطاع المجتمع أن يوظف أو أن يجد وظيفة أو عمل لكل شاب – من الجنسين – في المجتمع ؟ هل هذا صعب ؟ ترى أي من أهداف التنمية المستدامة يمكن تحقيقها لو فكرنا فقط في تحقيق الهدف الثامن ؟

الهدف السابع عشر، لنبدأ بتحقيق الهدف السابع عشر والذي ينص على (شراكات لتحقيق الأهداف)، هذا يعني أنه ينبغي أن تقوم شراكات ما بين جميع القطاعات التي توجد في المجتمع لتحقيق هدف توفير العمل المناسب للشباب من الجنسين، فيقوم القطاع الخاص بدوره، وكذلك القطاع العام، وإن أشكل توظيف القدرات الشابة في هذين القطاعين فيمكن استحداث وظائف ومهن جديدة في المجتمع، فيمكن مثلاً: أن يقوم مجموعة من الشباب بالاستفادة من المخلفات العضوية والغذائية وتحويلها إلى أنواع من الأسمدة العضوية، ومن ثم يتم بيعها للمزارع والمنازل والاستفادة من ريعها في سد حاجة الشباب للعمل وكذلك في إنشاء مهن أخرى للعاطلين الآخرين، والناتج الآخر الذي من الممكن الاستفادة منه من المخلفات الغذائية (غاز الميثان) الذي يتصاعد من تخمير المخلفات الغذائية أثناء تكوين السماد العضوي، وهذا الغاز يمكن الاستفادة منه في توليد الطاقة والطبخ وما إلى ذلك. أما المشروع الآخر فيمكن جمع الملابس القديمة وتعديلها وتصليح التالف منها ومن ثم غسلها وتحضيرها وبيعها والاستفادة من هذا المدخول، ويمكن كذلك – كمجموعة أخرى من الشباب – جمع أجهزة الحاسوب والهواتف النقالة وتفكيكها وبيعها كأجزاء صغيرة على الدول التي تقوم بالاستفادة من هذه الأجزاء.

هذا فقط فيما يخص موضوع المخلفات والاستفادة منها، ولكن في المجتمع الكثير من المهارات والهوايات التي يمكن الاستفادة منها لتصبح

مهنا، ومن ثم تحويل الشباب من الجنسين إلى فئات عاملة وأفراد منتجين بدلاً من أن يكونوا عالة على المجتمع، كل ذلك من خلال شراكات مجتمعية تسهم في الاستفادة من الطاقات الشابة وتوظيف طاقاتها في المهن التي تناسبها.

الهدف الأول (لا للفقر)؛ عندما تتوافر الأعمال والمهن للشباب فإن المجتمع سيكون خاليا من مناظر الشقاء، فلا تجد من يحتاج إلى صدقة أو زكاة، ولا تجد البيوت الآيلة للسقوط، ولا تجد المرضى بسبب الفقر، ولا تجد الجائع، وستجد أن كل الأطفال يذهبون إلى مدارسهم في الصباح ويرجعون في المساء.

إذن بالتغلب على الفقر يمكن التغلب على أمراض المجتمع المزمنة التي لا تجد لها حلاً إلا بالتخلص من الفقر.

الهدف الثاني (لا للجوع)؛ والجوع مصطلح مرادف للفقر، فالأسرة التي لا يوجد بها معيل أو أن يكون دخلها اليومي أقل من المعدل الذي يمكن أن يوفر الطعام المتوازن والآمن فإن الكثير من أمراض سوء التغذية يمكن أن تنتشر بين أفراد هذه الأسرة، فما بالنا ونحن نتحدث عن مجتمع به نسبة من الأسر تعيش تحت خط الفقر.

الهدف الثالث (الصحة الجيدة والرفاه)؛ طبعًا الجوع وسوء التغذية حتمًا سيوصلان مباشرة إلى الأمراض المختلفة وضعف البنية الجسدية وربما

حتى النفسية، وهذا في حد ذاته مرض يمكن أن يتراكم مع مرور الوقت، فكيف يعيش مجتمع في حالة من الرفاه ونسبة كبيرة من أفراد المجتمع يعانون الضعف والهزال، ومن ثم الخمول والكسل ليس لشيء بل فقط لأنهم لا يجدون ما يأكلون ؟

الهدف الرابع (التعليم الجيد)؛ العمل اللائق من الطبيعي أن يؤدي إلى تعليم جيد، وإن لم يؤثر ذلك على صاحب العمل نفسه فإن ذلك حتمًا سيؤثر في الأبناء والأحفاد، وهذا يعني أن التعليم في المجتمع سيكون أمرا واقعا وضرورة حتمية، لذلك فإن مستوى التعليم والمتعلمين سيرتقي في المجتمع ويصبح المجتمع كله متعلما ومن ثم تنتهي الأمية، بأنواعها المتعددة، كل ذلك بسبب أن الآباء ارتقوا بالعمل ولم يعودوا عالة على المجتمع الذي يعيشون فيه.

والتعليم الجيد حتمًا سيؤدي إلى توعية جيدة بالأمور المتعلقة بالاستهلاك والإنتاج، والمحافظة على البيئة والتقليل من المخلفات وبعض الأهداف الأخرى المتعلقة بالبيئة والقضايا الاقتصادية والاجتماعية، فالتعليم يرتقي بالفكر والحياة.

الهدف السابع (طاقة متجددة بأسعار معقولة)؛ عندما يعمل الشباب في موضوع الاستفادة من المخلفات العضوية – مثلاً – ويتم تحويلها إلى سماد وغاز الميثان أو ما يعرف بالغاز الحيوي أو الطاقة الحيوية، فإن ذلك سيسهم بطريقة أو بأخرى بعد فترة من الزمن – سواء طالت أو قصرت –

في تقليل الضغط أو الاعتماد على المصادر الأحفورية مثل النفط والفحم، وهذا يعني أنه يمكن الاعتماد على هذا الغاز ولو في بعض الأمور البسيطة مثل الطبخ والتدفئة وما شابه ذلك، وكذلك يمكن استخدامه في توليد الكهرباء، كما هو حاصل في بعض الدول.

الهدف الثالث عشر (تغير المناخ)؛ يرتبط موضوع تغير المناخ بموضوع احتراق الوقود وخاصة الوقود الأحفوري، لذلك فإن العمل في مجال توليد الطاقة الحيوية سيخفف كثيرًا من استخدام الطاقات التي ينتج عنها توليد غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يؤدي إلى مشكلة تغير المناخ.

هذا تصور مبدئي أو خريطة طريق أولية لمجتمع رغب في تحقيق هدف واحد من أهداف التنمية المستدامة، فتحققت له ولأفراده بالإضافة إلى ذلك سبعة أهداف أخرى، فماذا يمكن أن يحدث لمجتمع رغب في تحقيق عدة أهداف من أهداف التنمية المستدامة؟ قطعًا سيكون الوضع أفضل.

في معظم الدورات التي نقيمها حول موضوع التنمية المستدامة كان السؤال الأكثر تداولاً هو: لماذا نرغب في التوجه إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة ؟ ماذا سيستفيد الأفراد والمجتمع من ذلك ؟

يصعب علينا هنا أن نقول كل شيء، ولكن نترك هذا السؤال للسادة القراءة للإجابة عن هذا السؤال، فهل يمكن أن نتصور كيف ستتحول مجتمعاتنا إن حاولت أن تطبق ولو بصورة جزئية بعض أهداف التنمية المستدامة ؟